تفسير إبن كثير

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ

يقول تعالى : (ويستعجلونك) أي : هؤلاء المكذبون (بالسيئة قبل الحسنة) أي : بالعقوبة ، كما أخبر عنهم في قوله : (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين) [الحجر : 6 - 8] وقال تعالى : (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) [العنكبوت : 53 ، 54] وقال : (سأل سائل بعذاب واقع) [المعارج : 1] وقال : (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) [الشورى : 18] (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) أي : حسابنا وعقابنا ، كما قال مخبرا عنهم : (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) [الأنفال : 32] فكانوا يطلبون من الرسول أن يأتيهم

بعذاب الله ، وذلك من شدة تكذيبهم وكفرهم وعنادهم .قال الله تعالى : (وقد خلت من قبلهم المثلات) أي : قد أوقعنا نقمتنا بالأمم الخالية وجعلناهم مثلة وعبرة وعظة لمن اتعظ بهم .ثم أخبر تعالى أنه لولا حلمه وعفوه [وغفره] لعاجلهم بالعقوبة ، كما قال تعالى : (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) [فاطر : 45] .وقال تعالى في هذه الآية الكريمة : (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) أي : إنه ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار . ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ، ليعتدل الرجاء والخوف ، كما قال تعالى : (فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) [الأنعام : 147] وقال : (إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم) [الأعراف : 167] وقال : (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم) [الحجر : 49 ، 50] إلى أمثال ذلك من الآيات التي تجمع الرجاء والخوف .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت هذه الآية : (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب) قال رسول الله ، صلى الله

عليه وسلم : " لولا عفو االله وتجاوزه ، ما هنأ أحدا العيش ولولا وعيده وعقابه ، لاتكل كل أحد " .وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن عثمان أبي حسان الزيادي : أنه رأى رب العزة في النوم - ورسول االله صلى االله عليه وسلم - واقف بين يديه يشفع في رجل من أمته ، فقال له : ألم يكفك أني أنزلت عليك في سورة الرعد : (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) ؟ قال : ثم انتبهت .